مجلة حيدر آباد

ISSN No:

مجلة عربية إلكترونية فصلية بحثية محكمة

قسم دراسات العرب

جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، حيدر آباد، الهند

مستقبلات ممزقة: أصداء الصدمة من الكلاسيكيات العالمية إلى الديستوبيا العربية

محمد صفوان وي أس[1]

ملخص

تستكشف هذه الورقة تمثيل الصدمة (التروما) في الأدب العالمي الكلاسيكي والأدب الديستوبي العربي المعاصر، مع التركيز على الاستراتيجيات السردية المشتركة والاختلافات السياقية في الاستجابة للكوارث الجماعية الكبرى، مثل الحروب، الإبادات، العبودية، العنصرية النظامية، الاضطهاد الجندري، والإحباط السياسي بعد الثورات. تعتمد الدراسة على إسهامات ثلاثة منظرين رئيسيين في نظرية الصدمة: كاثي كاروث وجوديث هيرمان وفيكتور فرانكل .

تبرز الدراسة أنماطاً سردية متكررة: التشتت الزمني والنفسي، والتكرار المهووس، والظهور الشبحي للماضي، والدافع الشهادي الملح، التي تعكس مقاومة الصدمة للاندماج الفوري في الذاكرة الواعية.

يقارن القسم الأول بين النصوص التي تتناول صدمات تاريخية عالمية من الهولوكوست، والحرب، والعبودية، والعنصرية، والاضطهاد الجنسي والجسدي. وغالباً ما تشير إلى إمكانيات شفاء جزئي عبر الشهادة المشتركة، أو إعادة بناء المعنى، أو السرد الجماعي. أما القسم الثاني فيتناول الديستوبيا العربية المعاصرة في سياق ما بعد الغزو العراقي وما بعد الربيع العربي، حيث تتحول الصدمة إلى تفتت اجتماعي، ويأس ثوري، وعبث بيروقراطي، وانقسام طبقي.

بينما تميل النصوص العالمية إلى اقتراح مسارات شفاء شهادي أو وجودي، غالباً ما تنتهي الديستوبيات العربية بالمأزق المفتوح والعبثية المستمرة، معكسة استمرار الصدمة السياسية والاجتماعية.

[1] باحث في قسم اللغة العربية, جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية, حيدراباد
swafvanvskarimba@gmail.com

يظل الأدب في كلا التقليدين أرشيفاً حيوياً للخبرات المكبوتة، ووسيلة مقاومة ضد النسيان القسري، ومساحة محتملة للاعتراف الجماعي والفهم الجزئي للجروح التاريخية.

الكلمات المفتاحية: الصدمة، الأدب الديستوبي العربي, نظرية الصدمة, ما بعد الربيع العربي, الشهادة والذاكرة.

المقدمة

في عصر يرفض فيه الجراح التاريخية الالتئام، وتبدو المستقبلات مظلمة أكثر بالتكرار بدلاً من التجديد، يظل الأدب أحد أقوى الساحات لمواجهة الصدمة، تلك التمزق العميق في التجربة الفردية والجماعية الذي يتحدى الفهم الفوري والسرد الكامل. كلمة "تروما" (Trauma) مشتقة من اليونانية وتعني "جرح"، وفي معناها النفسي والأدبي الحديث تصف أحداثاً شديدة الإرهاق لدرجة أنها تكسر الأطر العادية للزمن والذاكرة والمعنى. كما توضح كاثي كاروث في كتابها ‘‘الصدمة: التجربة المنبوذة" (Trauma: Unclaimed Experience) تتميز الصدمة بالتأخر, فهي تعود متأخرة من خلال الذكريات المتسللة، والكوابيس، والصمت، والشظايا السردية، وتقاوم الاندماج في قصة مترابطة. هذا التأخر يحول الأدب إلى عرض للأعراض ومكان محتمل للشهادة، حيث يجد ما لا يُقال تعبيراً جزئياً وممزقاً.[1]

لذلك، فإن دراسة الصدمة في الأدب تحمل أهمية ملحة اليوم. وسط الأزمات العالمية المستمرة من الحروب، والإبادات الجماعية، والهجرات القسرية، والقمع النظامي، وانهيار البيئة، وآثار الثورات الخائبة لا يكتفي النصوص بالانعكاس للمعاناة؛ بل تحفظ ما غالباً ما تمحوه التواريخ الرسمية، وتعزز التعاطف الأخلاقي، وتستكشف إمكانيات (أو استحالة) الشفاء. تربط نظرية الصدمة بين التحليل النفسي والتاريخ والجماليات، وتكشف كيف تصبح الأشكال الأدبية نفسها مصابة بالصدمة: الخطوط

[1] Cathy Caruth, *Trauma: Unclaimed Experience: Trauma, Narrative, and History*, Johns Hopkins University Press, 1996, pp. 3–8.

الزمنية غير الخطية، والمواضيع المتكررة، والأشباح الحاضرة، والفجوات الشهادية، كلها تعكس اضطراب النفس، وتدعو القارئ للعيش في عدم الراحة الناتج عن الفقدان غير القابل للحل.[1]

يتبع هذا المقال، بعنوان "مستقبلات ممزقة: أصداء الصدمة من الكلاسيكيات العالمية إلى الديستوبيا العربية", هذه الأصداء عبر مشهدين أدبيين مترابطين. يبدأ بأمثلة أساسية من الأدب العالمي، حيث تظهر الصدمة كرد فعل على أحداث تاريخية كارثية. من الإلحاح الشهادي للهولوكوست في "إن كان هذا إنساناً" لبريمو ليفي (Primo Levi) والعبث الزمني الممزق للحرب في "مسلخ رقم خمسة" لكورت فونيغت (Kurt Vonnegut)، إلى الهَمّات عبر الأجيال للعبودية والعنصرية في "الحبيبة" و" العين الأكثر زرقة " لتوني موريسون (Toni Morrison)، والديستوبيات الجندرية للسيطرة الأبوية في حكاية الخادمة" لمارغريت أتوود(Margaret Atwood)، والانتهاك الجسدي في "النباتية"لهان كانغ (Han Kang) تُظهر هذه الأعمال قدرة الصدمة على تمزيق السرد مع مطالبة القارئ بالانخراط الأخلاقي.

ثم ينتقل التحليل إلى المشهد المميز للرواية الديستوبية العربية المعاصرة، وهو النوع الذي ازدهر بعد غزو العراق عام 2003، وثورات الربيع العربي عام 2011 وما تبعها من إحباطات ثورات فاشلة، وعودة الاستبداد، وعنف طائفي، ودول مراقبة، وخيبة أمل واسعة. هنا، لا تقتصر الصدمة على جروح الماضي، بل تُسقط إلى الأمام كحالة نظامية لا مفر منها في المجتمع نفسه. يخلق أحمد سعداوي في "فرانكشتاين في بغداد"جثة مركبة بشعة من ضحايا الانفجارات، تجسد الجسد السياسي العراقي الممزق بعد الغزو والإصرار المؤلم للعنف غير المحلول. يغوص محمد ربيع في "عطارد" في مصر قريبة المستقبل مليئة بالوحشية النهائية والانهيار الأخلاقي، تعكس الهزائم الساحقة التي أعقبت ميدان التحرير. تحول بسمة عبد العزيز في "الطابور" الانتظار البيروقراطي اللامتناهي إلى استعارة للشلل والبارانويا الجماعية

[1] Michelle Balaev, “Trends in Literary Trauma Theory,” *Mosaic: An Interdisciplinary Critical Journal*, vol. 41, no. 2, 2008, pp. 149–166.

تحت الأنظمة القمعية. أما الرؤى المبكرة التنبؤية مثل "يوتوبيا" (Utopia) لأحمد خالد توفيق، فتتوقع حروب الطبقات والتمزق الاجتماعي، بينما تمتد أعمال أخرى الدافع الديستوبي عبر المنطقة.

من خلال هذه العدسة المقارنة، يسلط المقال الضوء على أوجه التشابه البارزة مثل موضوع التأخر المشترك، حيث تتأخر الصدمة في تأثيرها الكامل لتنفجر بأشكال مشوهة والاختلافات: غالباً ما تركز الكلاسيكيات العالمية على معالجة فردية أو جماعية للكارثة التاريخية، بينما تصور الديستوبيا العربية الصدمة كسمة هيكلية مستمرة في حاضر متضرر يُسقط إلى كوابيس مستقبلية. هذا التوجه نحو الأمام يبرز شعرية الضيق، حيث يصبح الاغتراب التخيلي أداة لنقد الاستبداد الحقيقي والشك واللامعيارية دون قيود الواقعية المباشرة.

في النهاية، يكشف المقال من خلال مقارنة هذه التقاليد الدور المزدوج للأدب كأرشيف للمعاناة غير المطالب بها ومقاومة تخيلية.[1] في زمن تهدد فيه المستقبلات الممزقة بتكرار الماضي الممزق، تدفعنا هذه النصوص ليس فقط لتذكر الصدمة، بل لمواجهة أصدائها المستمرة وربما لتخيل طرق هشة ومكتسبة بصعوبة نحو تجدد محتمل.

الأسس النظرية

لتحليل الصدمة في الأدب بشكل فعال، يجب أن نعتمد على إطارات نظرية رئيسية شكلت هذا المجال. يقدم هذا القسم مساهمات ثلاثة منظرين مؤثرين: كاثي كاروث (Cathy Caruth)، جوديث هيرمان (Judith Herman)، وفيكتور فرانكل(Viktor Frankl). كل منهم يقدم وجهة نظر مميزة ومكملة عن طبيعة الصدمة، تأثيرها النفسي، عمليات الشفاء، والبحث عن المعنى وسط المعاناة. توفر هذه الأفكار أدوات لفهم كيف تظهر الصدمة في الأشكال السردية عبر الأدب العالمي والعربي.

[1] Dominick LaCapra, *Writing History, Writing Trauma*, Johns Hopkins University Press, 2001, pp. 41–59.

المنظرون الرئيسيون للصدمة

كاثي كاروث: التجربة المنبوذة (Cathy Caruth: Unclaimed Experience)

كاثي كاروث (مواليد 1955) عالمة أدب أمريكية وأستاذة في جامعة كورنيل، وتُعتبر من رواد دراسات الصدمة. تدربت في الأدب المقارن و تأثرت بالتقاليد التحليلية النفسية (خاصة فرويد)، وركزت على كيف تتحدى الصدمة اللغة والذاكرة والفهم التاريخي. كتابها الرئيسي "التجربة المنبوذة: الصدمة والسرد والتاريخ" (Unclaimed Experience: Trauma , Narrative and History) (1996) قدم "نظرية الصدمة" كإطار أدبي وثقافي. تقول كاروث إن الصدمة لا تُعاش فوراً أو تُعرف بشكل كامل؛ بل تتميز بـ"التأخر" (تأخر الوعي) وتعود متأخرة من خلال أعراض مثل الذكريات المتسللة، الكوابيس، أو فجوات الذاكرة. الحدث الصادم يقاوم التمثيل المباشر لأنه يتجاوز قدرة العقل على معالجته في الوقت الفعلي، فيبقى "منبوذاً" غير مملوك أو مدمج بالكامل لدى الناجي.[1] هذا يخلق مفارقة: الصدمة تُعرف فقط بشكل غير مباشر، من خلال تكرارها وتمزقات السرد. في الأدب، تظهر ذلك في الهياكل المجزأة، الصمت، أو الشهادة غير المباشرة، فتصبح النصوص أماكن تتحدث فيها جروح التاريخ بشكل غير مباشر. تؤكد أفكار كاروث البعد الأخلاقي للصدمة: الاستماع إلى قصة الناجي يصبح فعل شهادة يتجاوز الفرد إلى التاريخ الجماعي.[2]

جوديث هيرمان: الصدمة والشفاء (Judith Herman: Trauma and Recovery)

جوديث لويس هيرمان (مواليد 1942) طبيبة نفسية أمريكية وأستاذة في كلية الطب بجامعة هارفارد، اشتهرت بعملها السريري مع ضحايا الإساءة المنزلية، العنف الجنسي، والإرهاب السياسي. كتابها الرائد "الصدمة والشفاء: ما بعد العنف – من الإساءة المنزلية إلى الإرهاب السياسي" (Trauma and Recovery: The Aftermath of Violence--From Domestic Abuse to Political Terror) (1992) ربط بين المعاناة الخاصة والعامة، مقارناً ناجيات الاغتصاب والزنا بالمحارم بقدامى المحاربين. تحدث

[1] Caruth, Cathy. *Unclaimed Experience: Trauma, Narrative, and History*. Johns Hopkins University Press, 1996, pp. 3–11.
[2] Caruth, Cathy, editor. *Trauma: Explorations in Memory*. Johns Hopkins University Press, 1995.

هيرمان النظرة الضيقة للصدمة (التي كانت مقتصرة على اضطراب ما بعد الصدمة الناتج عن الحرب) وقدمت مفهوم "اضطراب ما بعد الصدمة المعقد" للصدمات المطولة والمتكررة بين الأشخاص، والتي تسبب اضطرابات عميقة في الثقة، الهوية، والعلاقات. تقترح نموذجاً للشفاء في ثلاث مراحل: (1) بناء الأمان، (2) التذكر والحزن (مواجهة الصدمة والحداد عليها)، (3) إعادة الاتصال بالحياة العادية والعلاقات الجديدة.[1] تبرز عملها الأبعاد الاجتماعية والسياسية للصدمة —كيف يطيل الإنكار أو الصمت أو تواطؤ الآخرين المعاناة — وتؤكد الحاجة إلى الاعتراف الاجتماعي والعدالة إلى جانب الشفاء الفردي. نهجها النسوي أثر على العلاج، الدفاع عن الحقوق، والتحليل الأدبي للعنف الجندري والنظامي.

فيكتور فرانكل: البحث عن المعنى (Viktor Frankl: Search for Meaning)

فيكتور إي. فرانكل (1905–1997) طبيب نفسي وعصبي نمساوي، نجا من الهولوكوست، ومؤسس العلاج بالمعنى (Logotherappy)، ويُسمى "المدرسة الفيينية الثالثة" للعلاج النفسي (Third school of Viennese Psychotherapy) (بعد فرويد وأدلر). ولد في فيينا (Vienna) لعائلة يهودية، عانى من معاداة السامية مبكراً، وطور اهتماماً بالأسئلة الوجودية. نجا من أربعة معسكرات نازية بما في ذلك أوشفيتز (Auschwitz) بين 1942 و1945، وفقد والديه وأخاه وزوجته الحامل. استناداً إلى هذه التجارب المرعبة، كتب "بحثالإنسان عن المعنى" (Man's Search for Meaning) (1946، بالألمانية أصلاً)، وهو مذكرات ومقدمة للعلاج بالمعنى. يقول فرانكل إن الإنسان يحتفظ حتى في أشد المعاناة بـ"آخر حريات الإنسان": اختيار موقفه تجاه الألم الذي لا مفر منه.[2] يرى أن الدافع الأساسي للإنسان ليس المتعة (فرويد) أو القوة (أدلر)، بل الإرادة إلى المعنى, إيجاد هدف من خلال العمل الإبداعي، والحب، أو تحمل المعاناة بشجاعة. يساعد العلاج

[1] Herman, Judith Lewis. *Trauma and Recovery: The Aftermath of Violence—From Domestic Abuse to Political Terror*. Basic Books, 1992, pp. 1–32.

[2] Frankl, Viktor E. *Man's Search for Meaning*. Translated by Ilse Lasch, Beacon Press, 2006.

بالمعنى الأفراد على اكتشاف المعنى حتى في المأساة، فيحول المعاناة إلى مصدر نمو بدلاً من اليأس. تركيزه على المرونة، القدرة على الفعل، والغرض الوجودي يقدم نقيضاً متفائلاً للنظرة التي ترى الصدمة مدمرة فقط[1].

النقد والتكييفات

رغم أن هذه النظريات شكلت دراسات الصدمة بعمق، إلا أنها تواجه نقداً مهماً، خاصة بسبب جذورها الأوروبية الغربية وفرضياتها. نموذج كاروث، الذي يركز على عدم القول، والتمزق، والتأخر العام، انتقد (مثلاً من روث لايز وستيف كرابس) لأنه قد يفصل الصدمة عن سياقاتها التاريخية المحددة، ويهمل تجارب غير غربية، ويُفضل الجماليات الحداثية (الفجوات، التناقض) كشكل "صحيح" لتمثيل الصدمة. هذا قد يفرض إطارات غربية على ثقافات متنوعة، متجاهلاً ممارسات الشفاء الجماعية أو طرق التعبير عن الضيق التي لا تتناسب مع النماذج الفردية التحليلية النفسية[2]. نموذج هيرمان للشفاء المرحلي، رغم قيمته السريرية، يُرى أحياناً خطياً وفردياً، يفترض توفر الأمان والموارد العلاجية التي قد تكون غائبة في مناطق النزاع المستمر أو السياقات غير الغربية[3]. أما علاج فرانكل بالمعنى، المتجذر في نجاة الهولوكوست، فيقدم تفاؤلاً بالمعنى، لكنه انتقد لتقليله من الظلم الهيكلي أو الحالات التي تبدو المعاناة فيها بلا معنى تماماً[4].

رداً على ذلك، طور الباحثون نظرية الصدمة للسياقات غير الغربية والعربية. يركز العمل الحديث على الخصوصية الثقافية مثل مفهوم الصدمة (الصدمة المفاجئة) في العربية أو الجروح الجماعية بدلاً من الفردية فقط. وينتقد الأوروبية المركزية بإبراز الصدمة الجماعية المستمرة في السياقات ما بعد الاستعمار، مناطق الحروب، أو ما بعد الثورات. هذه التكييفات تدمج التعابير المحلية، ترفض السرديات العامة

---

[1] Frankl, Viktor E. *The Will to Meaning: Foundations and Applications of Logotherapy*. Expanded ed., Meridian, 1988.

[2] Leys, Ruth. *Trauma: A Genealogy*. University of Chicago Press, 2000.

[3] Herman, Judith Lewis. *Trauma and Recovery*. Basic Books, 1992, pp. 155–214.

[4] Summerfield, Derek. "A Critique of Seven Assumptions behind Psychological Trauma Programmes in War-Affected Areas." *Social Science & Medicine*, vol. 48, no. 10, 1999, pp. 1449–1462.

للشفاء، وتبرز دور الأدب في الشهادة على العنف النظامي دون افتراض التمزق كالطريقة الوحيدة الأصيلة. هذا يفتح المجال لقراءة الديستوبيا العربية، حيث تكون الصدمة ليست ماضية فقط بل مسقطة كبنية مجتمعية مستمرة، مما يتحدى النماذج الغربية النقية ويثري النقاش العالمي حول الصدمة.[1]

الصدمة في الأدب العالمي

هذا القسم يدرس كيف تظهر الصدمة (التروما) في أعمال أدبية مهمة من الأدب العالمي. يركز على أصولها التاريخية والثقافية المختلفة، ويظهر الطرق الأدبية المتكررة مثل: التشتت، والتكرار، والظهور الشبحي، والحاجة الملحة للشهادة. هذه النصوص ترد على كوارث كبيرة مثل الإبادة الجماعية، والحرب، والعبودية، والعنصرية النظامية، والقمع الذكوري، والعنف الجسدي. تستخدم أشكالاً سردية تعكس الاضطرابات النفسية للصدمة.

روايات الهولوكوست والحرب

إذا كان هذا إنساناً لبريمو ليفي(If This Is a Man by Primo Levi)

كتاب بريمو ليفي إذا كان هذا إنساناً (1947، يُترجم أيضاً بـ البقاء في أوشفيتز) هو شهادة دقيقة وهادئة عن الهولوكوست. الموضوع الرئيسي للصدمة هو الإذلال المنظم والقضاء على كرامة الإنسان في معسكر أوشفيتز. يصف ليفي آلة المعسكر: العمل القسري، الجوع، الإهانة العلنية (مثل التغوط بدون خصوصية)، الضرب، ومحو الهوية الشخصية برقم محفور على الذراع وإزالة الأسماء. الصدمة ليست فقط البقاء الجسدي وسط القتل الجماعي، بل الجرح العميق في "الإنسانية" التي يسميها ليفي "الرجولة": القدرة على التعاطف والرعاية والاختيار الأخلاقي. النظام النازي يحول السجناء إلى "موسلمان" (الأموات الأحياء، مشلولين عاطفياً ومستسلمين للموت)، فيدمر شعور الناجي بنفسه وبإنسانيته. أسلوبه الهادئ والعلمي تقريباً (بدون إثارة عاطفية) يعكس فكرة "التأخر" في الصدمة: الحدث قاسٍ جداً ليُعالج عاطفياً فوراً، فيظهر متأخراً بذكريات واضحة وموزونة. عنوان الكتاب السؤالي

---

[1] Saadi, Ahmad H., and Lila Abu-Lughod, editors. *Nakba: Palestine, 1948, and the Claims of Memory*. Columbia University Press, 2007.

"إذا كان هذا إنساناً" يعبر عن الأزمة الأخلاقية: كيف يبقى الإنسان إنساناً بعد تجريده من كل صفاته الإنسانية؟ النص يشهد على الصدمة الجماعية ويعاني من ذنب الناجي وعدم القدرة على نقل الرعب كاملاً[1].

مسلخ رقم خمسةلكورت فونيغت (Slaughterhouse-Five by Kurt Vonnegut)

رواية كورت فونيغت مسلخ رقم خمسة (1969) تُعتبر أفضل رواية عن اضطراب ما بعد الصدمة (PTSD). تستند إلى تجربة فونيغت الشخصية كأسير حرب أثناء قصف درسدن بالنيران من الحلفاء عام 1945. الموضوع الرئيسي هو العبثية المدمرة والرعب الذي لا يُفلت منه في الحرب، خاصة قصف درسدن الذي قتل عشرات الآلاف في ليلة واحدة. البطل بيلي بيلغريم "ينفك عن الزمن"، يعيش حياته بشكل غير خطي – ينتقل بين الطفولة، الحرب، الحياة بعد الحرب، والاختطاف من قبل كائنات فضائية في ترالفامادور. هذا التشتت يعبر عن أعراض الصدمة: الانفصال، الذكريات المتسللة، وعدم القدرة على دمج الأحداث المرعبة في ذاكرة متماسكة. العبارة المتكررة "وهكذا يمضي الأمر (So it goes) " هي تعويذة ميتة ومستسلمة للموت، تعكس الإغلاق العاطفي وصعوبة التعبير عن المشاعر. يستخدم فونيغت عناصر الخيال العلمي (القدرية عند ترالفامادوريين، حيث كل لحظة موجودة معاً) كوسيلة للتعامل مع الذنب والعجز – بيلي ينجو بينما يموت الآخرون، مما يعكس ذنب الناجي. الهيكل غير الخطي والفكاهة السوداء تبرز كيف تعطل الصدمة الزمن والمعنى، وتحول الصدمة الشخصية إلى نقد للعنف البشري وعبثية فكرة التقدم الخطي[2].

العبودية وتدمير الهوية

الحبيبة لتوني موريسون (Beloved by Toni Morrison)

---

[1] Levi, Primo. *If This Is a Man*. Translated by Stuart Woolf, Abacus, 1987.
[2] Vonnegut, Kurt. *Slaughterhouse-Five*. Dial Press, 1969.

في رواية توني موريسون الحبيبة (1987)، الموضوع الرئيسي هو الإرث المتوارث والشبحي للعبودية الأمريكية، خاصة تدمير الأمومة السوداء، وروابط العائلة، والهوية الذاتية. سيتي، امرأة كانت مستعبدة، تقتل طفلتها الرضيعة لتحميها من العودة للعبودية، فعل نابع من صدمة أمومية شديدة وليس قسوة. تعود الطفلة المقتولة كشبح مجسد يُدعى "الحبيبة"، ترمز للماضي "غير المطالب به" الذي يغزو الحاضر. تظهر الصدمة كظهور شبحي، فجوات في الذاكرة، تكرار مهووس ("التذكر المتكرر")، وتشتت جسدي ونفسي: ندوب سيتي مثل "شجرة الكرز" من الجلد، وقلب بول دي "الأحمر" المغلق في علبة تبغ. عنف العبودية النظامي – الاغتصاب، فصل العائلات، إنكار الإنسانية – يخلق جروحاً تتوارث عبر الأجيال وتستمر حتى بعد الحرية، مفصولة الأمهات عن بناتهن ومستمرة في الخجل والصمت. تستخدم موريسون الواقعية السحرية والرواية الجماعية لتقترح شفاء جزئي من خلال المواجهة والشهادة المشتركة، مؤكدة أن الصدمة فردية وثقافية ووطنية معاً.[1]

العين الأكثر زرقة لتوني موريسون (The Bluest Eye by Toni Morrison)

رواية موريسون الأولى العين الأكثر زرقة (1970) تركز على الصدمة الداخلية لكراهية الذات العنصرية والتهميش النظامي في أمريكا السوداء في منتصف القرن العشرين. البطلة بيكولا بريدلوف، فتاة سوداء صغيرة، تصلي لتحصل على عيون زرقاء للهروب من "قبحها" المتصور، رغبة نابعة من معايير الجمال البيضاء المنتشرة التي تعتبر الملامح السوداء أدنى. الموضوع الصدمي هو تقاطع العنصرية، الفقر، الزنا بالمحارم، والكراهية للنساء: تعاني بيكولا من الاعتداء الجنسي من أبيها تشولي (ضحية صدمة عنصرية هو نفسه)، الإهمال من أمها، والرفض من الأقران والمجتمع. هذا يؤدي إلى تدمير الهوية العميق – تبتلع بيكولا الخجل، تصاب بالجنون، وتهلوس بعيون زرقاء كوسيلة هروب. تكشف موريسون كيف تتكرر الصدمة عبر الأجيال: إذلال تشولي (مشاهدة تخلي أمه عنه وتهديد بالإعدام) يحوله إلى ظالم. الهيكل المشتت، الرواة المتعددون، ومقابلة نص "ديك وجين" يبرز كيف تمحو الروايات البيضاء

[1] Morrison, Toni. *Beloved*. Vintage Books, 2004.

السائدة حياة السود وتشوهها، مستمرة في العنف النفسي. الصدمة هنا خفية ويومية، تؤدي إلى كراهية الذات التي تدمر إمكانية قبول الذات[1].

الجروح الجنسية والاستعمارية

حكاية الخادمة لمارغريت أتوود (The Handmaid's Tale by Margaret Atwood)

رواية مارغريت أتوود حكاية الخادمة (1985) تستكشف الصدمة الجندرية تحت نظام بطريركي شمولي في جلعاد، حيث تُختزل النساء الخصبات إلى أوعية إنجابية. الموضوع الرئيسي هو محو الإرادة النسائية، والهوية، والسيطرة على الجسد من خلال الاغتصاب الطقسي ("الطقس")، وفصل العائلة قسراً، وتغيير الأسماء ("أوفغلين"، "أوفريد")، والمراقبة الدائمة، والتلاعب النفسي. سرد أوفريد – مشتت، ومتكرر، واسترجاعي – يعكس الانفصال وذاكرة الصدمة: تتشبث بذكريات ما قبل جلعاد بينما تعاني الإذلال. تظهر الصدمة في الغضب المكبوت، أفكار الانتحار ("الهروب" كالموت)، وفقدان اللغة والحميمية. تربط أتوود بين اضطهادات تاريخية حقيقية (البيوريتانية، العبودية، الفاشية)، موضحة كيف يستخدم السلطة الذكورية الإنجاب كسلاح ويفرض الصمت. تنتقد الإنكار والتواطؤ، مؤكدة البعد الاجتماعي للصدمة – دور المتفرجين في إطالة الألم – والمقاومة الهشة من خلال الذاكرة والأفعال الصغيرة المتحدية[2].

النباتية لهان كانغ (The Vegetarian by Han Kang)

رواية هان كانغ النباتية (2007، ترجمة إنجليزية 2015) تتعمق في الصدمة الجسدية، والمقاومة، وحدود الشفاء في المجتمع الكوري المعاصر. البطلة يونغ هي ترفض فجأة أكل اللحم بسبب أحلام دموية عنيفة مرتبطة بذكريات طفولة عن معاملة الحيوانات بوحشية وصدمات عائلية غير معلنة. الموضوع

[1] Morrison, Toni. *The Bluest Eye*. Vintage Books, 2007.

[2] Atwood, Margaret. *The Handmaid's Tale*. Anchor Books, 1998.

الصدمي هو تقاطع الانتهاك الشخصي (إيحاء بالإساءة العائلية/الجنسية)، والسيطرة الذكورية على أجساد النساء، وفرض المجتمع للتوافق. يتطور نباتية يونغ هي إلى فقدان الشهية، وخيالات نباتية، وذهول. محاولات للهروب من عنف البشر برفض أكل اللحم ثم رفض الإنسانية نفسها. الهيكل الثلاثي (من منظور الزوج، صهرها، أختها) يظهر كيف تعزل الصدمة الناجية وتجعلها موضوعاً: يعاملها العائلة والمجتمع كمريضة بدلاً من فهم جذور مقاومتها في الاشمئزاز من العنف. تستخدم كانغ صوراً جسدية قوية وسرداً مشتتاً لنقل الانفصال، الكبت، وتمرد الجسد ضد القواعد المفروضة. الصدمة هنا فردية (جروح طفولة غير معالجة) وثقافية (ضغوط على استقلالية النساء)، وتنتهي بمأساة بدون شفاء، مؤكدة صعوبة التعافي عندما ينكر المجتمع صحة الجرح.[1]

I. الصدمة في الأدب الديستوبي العربي

يستكشف هذا القسم كيف يعبر الأدب الديستوبي العربي المعاصر عن الصدمة النفسية والجماعية الناتجة عن أحداث تاريخية كبرى مثل غزو العراق عام 2003، والثورات العربية (الربيع العربي) وما تلاها من إحباط وسلطوية متجددة. تظهر الصدمة في هذه الأعمال من خلال تشويه الجسد والمجتمع، والتشتت الزمني والنفسي، والانتظار المميت، والعنف المتكرر، مع استخدام عناصر ديستوبية (كالوحوش، المدن المقسمة، السلطة البيروقراطية) ليعكس الجرح الذي لا يشفى في الفرد والمجتمع.

كوابيس ما بعد الغزو العراقي

فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي

رواية أحمد سعداوي فرانكشتاين في بغداد (2013) تصور الصدمة الجماعية للعراق بعد الغزو الأمريكي عام 2003. الموضوع الرئيسي هو تفتت الجسد والمجتمع بسبب الانفجارات والعنف اليومي. يجمع تاجر خردة جثة من أشلاء ضحايا القنابل، فتنبض الحياة في هذا "الكائن" (الذي يُدعى "ما

[1] Han, Kang. *The Vegetarian*. Translated by Deborah Smith, Hogarth Press, 2016.

اسمه")، فيبحث عن العدالة للضحايا لكنه يتحول إلى قاتل. يرمز الكائن إلى الجسد المجزأ للعراق: أجزاء من أجساد مختلفة تمثل التنوع الطائفي والاجتماعي الذي مزقته الحرب، والصدمة الجماعية التي تجمع الجراح وتجعلها تتجول كشبح. تظهر الصدمة في التكرار العنيف (الانفجارات المتواصلة)، الظهور الشبحي للموتى في الحياة، والتشتت النفسي للشخصيات التي تعاني من فقدان الهوية والذاكرة. يستخدم سعداوي الواقعية السحرية ليبرز كيف يعود الماضي المؤلم متأخراً وبقوة، معبراً عن ذنب الناجين وعجز الشهادة على الرعب الكامل، وينتقد كيف تحولت بغداد إلى "مسلخ" بشري[1].

حارس التبغ لعلي بدر

علي بدر، الكاتب العراقي، يركز في روايته حارس التبغ (2008) على الصدمة النفسية الناتجة من فقدان الهوية والانتماء في ظل الفوضى والحرب. في حارس التبغ، يعاني البطل فقدان هويته الحقيقية ويتبنى هويات أخرى، رمزاً للتشتت الذي أصاب العراقيين بعد 2003: النزوح، المنفى، والفقدان الثقافي. تظهر الصدمة في تكرار الفقدان (الذاكرة الممزقة، الهويات المزيفة)، والعزلة النفسية، والشعور بالاغتراب في الوطن نفسه. يستخدم بدر سرداً مشتتاً ومتعدد الطبقات ليعكس كيف دمرت الحرب الروابط الاجتماعية والشخصية، مما يؤدي إلى أزمة وجودية: كيف يعيد الفرد بناء نفسه وسط الخراب؟ هذه الأعمال تعبر عن صدمة جماعية تتوارث عبر الأجيال، مع التركيز على الخسارة الثقافية والإنسانية في ظل الاحتلال والعنف الطائفي[2].

اليأس الثوري المصري

عطارد لمحمد ربيع

رواية محمد ربيع عطارد (2014) تصور ديستوبيا مصرية بعد فشل ثورة 2011 وعودة السلطة القمعية. البطل، شرطي سابق، يتحول إلى قناص يقتل الناس عشوائياً في القاهرة المحاصرة، معبراً عن

[1] سعداوي، أحمد .فرانكشتاين في بغداد .بيروت: منشورات الجمل، 2013.

2.

[2] بدر، علي .**حارس التبغ** .بيروت: دار المدى، 2008.

اليأس العميق والعنف الذي يولد من الصدمة غير المعالجة. الموضوع الرئيسي هو تدمير الجسد والروح بسبب الإحباط الثوري والعنف المتكرر، والانهيار الاجتماعي، والشعور بالعجز أمام النظام. تظهر الصدمة في التشتت الزمني (الرواية غير خطية)، والانهيار الجسدي (التعذيب والموت المتكرر)، والانفصال النفسي (البطل يفقد الإنسانية تدريجياً). يستخدم ربيع الديستوبيا ليبرز كيف تحولت الثورة إلى كابوس، مع التركيز على الصدمة الجماعية للشعب الذي خسر الأمل، والصدمة الفردية التي تؤدي إلى عنف ذاتي واجتماعي، مما يجعل الرواية مرآة مرعبة لما بعد الربيع العربي[1].

الديستوبيات العربية الأوسع

الطابور لبسمة عبد العزيز

رواية بسمة عبد العزيز الطابور (2013) تصور دولة ديستوبية تشبه مصر بعد "الأحداث المشينة" (إشارة إلى ثورة 2011). ينتظر الناس في طابور لا نهاية له أمام "البوابة" للحصول على تصاريح لكل شيء، حتى إزالة رصاصة من جسد مواطن. الموضوع الرئيسي هو الصدمة الجماعية لفشل الثورة: السلطة البيروقراطية التي تمتص الحياة، والعبثية، والشعور بالعجز والانتظار المميت. تظهر الصدمة في الانتظار المتكرر (رمز للتكرار الترومي)، والفجوات في الذاكرة الجماعية (الأحداث "المشينة" محذوفة)، والانهيار النفسي للأفراد الذين يفقدون إرادتهم. تستخدم عبد العزيز السخرية السوداء والسرد البطيء لتعكس كيف تطول الصدمة بعد الثورة، مع التركيز على التواطؤ الاجتماعي والصمت، وكيف يصبح الانتظار شكلاً من أشكال العنف النفسي اليومي[2].

يوتوبيا لأحمد خالد توفيق (رؤية مبكرة للانقسام الاجتماعي)

رواية أحمد خالد توفيق يوتوبيا (2008) تنبأت بانقسام مصر إلى عالمين: "يوتوبيا" (حي الطبقة الغنية المغلق) و"الآخرون" (عالم الفقراء الفوضوي). الموضوع الرئيسي هو الصدمة الناتجة من

---

[1] ربيع، محمد. **عطارد**. القاهرة: دار التنوير، 2014.

[2] عبد العزيز، بسمة. **الطابور**. القاهرة: دار التنوير، 2013.

الشرخ الاجتماعي والطبقي المتفاقم، الذي يولد عنفاً وعزلة. يظهر الغنيون مللاً وعدوانية، بينما يعاني الفقراء من الجوع واليأس، مما يؤدي إلى صراع عنيف. تظهر الصدمة في تفتت المجتمع (الانقسام الجغرافي والنفسي)، والعنف المتكرر (القتل والنهب)، والفقدان الإنساني (الغنيون يفقدون التعاطف، والفقراء يفقدون الأمل). كانت الرواية نبوءة لما حدث في الربيع العربي، حيث يبرز توفيق كيف يخلق اللامساواة صدمة جماعية تتفجر في عنف، مع سرد مزدوج (من منظور غني وفقير) يعكس التشتت والاغتراب الاجتماعيين.[1]

الخاتمة

تكشف الأعمال الأدبية المتنوعة التي تناولتها هذه الدراسة من الأدب العالمي الكلاسيكي إلى الديستوبيا العربية المعاصرة عن طبيعة الصدمة (التروما) كتجربة إنسانية عابرة للثقافات والأزمنة، لكنها تتجلى بأشكال محددة حسب السياق التاريخي والاجتماعي. سواء في شهادات الهولوكوست مثل إذا كان هذا إنساناً لبريمو ليفي، أو في روايات الحرب كمسلخ رقم خمسة لكورت فونيغت، أو في سرديات العبودية والعنصرية عند توني موريسون (الحبيبة والعين الزرقاء الأجمل)، أو في الاضطهاد الجندري كما في حكاية الخادمة لمارغريت أتوود والنباتية لهان كانغ، نجد استراتيجيات سردية متكررة: التشتت الزمني والنفسي، والتكرار المهووس، والظهور الشبحي للماضي، والحاجة الملحة للشهادة رغم صعوبة نقل الرعب كاملاً. هذه التقنيات تعكس "التأخر (latency) "في معالجة الصدمة، حيث يعود الحدث المؤلم متأخراً وبقوة أكبر، محولاً الذاكرة إلى جرح مفتوح يعيق الاندماج في الحاضر.[2]

في السياق العربي المعاصر، يأخذ الأدب الديستوبي هذه الاستراتيجيات ويحولها إلى أداة لنقد السلطة والفشل الجماعي. في فرانكشتاين في بغداد لأحمد سعداوي، يتجسد الجسد المجزأ للعراق ما بعد الغزو ككائن يجمع أشلاء الضحايا، رمزاً للصدمة الجماعية التي لا تندمل بل تتجول كشبح يطالب بالعدالة ويولد عنفاً جديداً. أما أعمال علي بدر، فتركز على التشتت الهوياتي والاغتراب في الوطن

[1] توفيق، أحمد خالد. يوتوبيا. القاهرة: دار ميريت، 2008.

[2] Caruth, Cathy. *Unclaimed Experience: Trauma, Narrative, and History*. Johns Hopkins University Press, 1996.

نفسه. في مصر، تعبر عطارد لمحمد ربيع عن اليأس الثوري الذي يتحول إلى عنف ذاتي واجتماعي، بينما تصور الطابور لبسمة عبد العزيز الانتظار المميت كشكل من أشكال العنف البيروقراطي اليومي، وتنبأت يوتوبيا لأحمد خالد توفيق بالانقسام الطبقي الذي يولد صدمة هيكلية. هذه الروايات تحول الصدمة من تجربة فردية إلى جرح وطني وإقليمي، مستخدمة الديستوبيا لتفكيك الأوهام التقدمية وكشف كيف تستمر السلطة في إعادة إنتاج العنف بعد الكوارث (الغزو، والثورات، والإحباط السياسي)[1].

رغم الاختلافات الثقافية والتاريخية، تتقاطع هذه الأعمال في تأكيدها على أن الصدمة ليست مجرد ماضٍ، بل قوة حية تشكل الحاضر والمستقبل. في الأدب العالمي، غالباً ما تُقدم إمكانية شفاء جزئي من خلال الشهادة والذاكرة المشتركة (كما عند موريسون)، أو نقداً ساخراً للعنف البشري (فونيغت)، أو رفضاً درامياً للشفاء (كانغ). أما في الديستوبيا العربية، فغالباً ما تنتهي الصدمة بمأساة مفتوحة أو عبثية مستمرة، تعكس واقعاً سياسياً لا يزال يعاني من عدم الإغلاق. ومع ذلك، يظل الأدب سواء كان شهادة تاريخية أو خيالاً ديستوبياً أداة مقاومة أساسية: يمنح الصوت للصامتين، ويكشف الجراح المخفية، ويحافظ على الذاكرة الجماعية ضد النسيان القسري.

في النهاية، تثبت هذه النصوص أن الصدمة، رغم تدميرها للإنسانية، تولد أيضاً إصراراً على السرد والشهادة. من خلال الأدب، يمكن للمجتمعات أن تواجه ماضيها المؤلم، وتتحدى السرديات الرسمية، وتبني ولو جزئياً إمكانية لفهم مشترك وشفاء جماعي، حتى في أحلك الظروف.

المصادر والمراجع

سعداوي، أحمد .**فرانكشتاين في بغداد** .بيروت: منشورات الجمل، 2013.

بدر، علي .**حارس التبغ** .بيروت: دار المدى، 2008.

[1] حسن، وائل إس. «الرواية العربية بعد الربيع العربي: الصدمة، العنف، والديستوبيا». مجلة الأدب العربي، المجلد 48، العدد 1، 2017، ص ص 1–25.

ربيع، محمد .**عطارد** .القاهرة: دار التنوير، 2014.

عبد العزيز، بسمة. **الطابور**. القاهرة: دار التنوير، 2013.

عبد العزيز، بسمة. **إغواء السلطة المطلقة**. القاهرة: دار التنوير، 2016.

توفيق، أحمد خالد. **يوتوبيا**. القاهرة: دار ميريت، 2008.

حسن، وائل إس. «الرواية العربية بعد الربيع العربي: الصدمة، العنف، والديستوبيا.» *مجلة الأدب العربي*، المجلد 48، العدد 1، 2017.

Levi, Primo. *If This Is a Man*. Translated by Stuart Woolf, Abacus, 1987.

Vonnegut, Kurt. Slaughterhouse-Five. Dial Press, 1969.

Morrison, Toni. *Beloved*. Vintage Books, 2004.

Morrison, Toni. *The Bluest Eye*. Vintage Books, 2007.

Atwood, Margaret. *The Handmaid's Tale*. Anchor Books, 1998.

Han, Kang. *The Vegetarian*. Translated by Deborah Smith, Hogarth Press, 2016.

Caruth, Cathy. *Unclaimed Experience: Trauma, Narrative, and History*. Johns Hopkins University Press, 1996.

Herman, Judith Lewis. *Trauma and Recovery: The Aftermath of Violence*. Basic Books, 1992.

LaCapra, Dominick. *Writing History, Writing Trauma*. Johns Hopkins University Press, 2001.

Craps, Stef. *Postcolonial Witnessing: Trauma Out of Bounds*. Palgrave Macmillan, 2013.

Whitehead, Anne. *Trauma Fiction*. Edinburgh University Press, 2004.

Luckhurst, Roger. *The Trauma Question*. Routledge, 2008.

Das, Veena. *Life and Words: Violence and the Descent into the Ordinary*. University of California Press, 2007.

Agamben, Giorgio. *Remnants of Auschwitz: The Witness and the Archive*. Translated by Daniel Heller-Roazen, Zone Books, 1999.

Fanon, Frantz. *Black Skin, White Masks*. Translated by Charles Lam Markmann, Grove Press, 1967.

Foucault, Michel. *Discipline and Punish: The Birth of the Prison*. Translated by Alan Sheridan, Vintage Books, 1995.